Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونكتهم اللاذعة . وقلَّ مَن من الأوروبيين يفهم ذلك لأن فكرهم على توقُّدِهِ وانتباهه لا يستطيع الوصول إلى الدقة الشرقية الخفية . أيكفي التوقد والانتباه لمن يطلب التفهم ؟ أليس هناك صفة أخرى تصيب جوهر المعاني والأغراض بوثبة واحدة ، وهي البداهة التي كانت وستظل دائماً قوة النفس الشرقية ؟ وهذه الدقة المتوارية ازاء النظر الغريب أليست هي البادية في السلّم الموسيقي عوارض كثيرة التجزئة غريبة الأوضاع ؟ تلك العوارض أخذ بعضها نفرٌ من كبار الموسيقيين في الغرب ونظمها بياناً فنياً جميلاً ، على أن الجمهور الأجنبي ما زال يحسبها خطأً وخللاً موسيقياً في حالتها الشرقية الصرفة . مع أنها هي الجاعلة لموسيقانا سذاجتها وفعلها الأليم المستحب .

للسان المصري سلطان يعنو له الكلام ، وللمصري سَرعة خاطر مدهشة لا تكلّ ولا تنضب وألفاظ كالسلسبيل حلاوة . ولكنَّ هذه الميزة تظهر على أتم ما تكون في المصري الراقي الذي يرفع المعاني المتداولة إلى أوج فكره ثم يظهرها جديدة الأنس والسلاسة تتبعثر فيها الملح الحسناء ورؤوس حراب صغيرة تتهدَّد بالوخز كثيراً ولا تفعل إلا نادراً .

●

كل ذلك في باحثة البادية محدّثة وكاتبة . خفة الروح ترفرف على جميع سطورها . انها تستوقفك الوقت بعد الوقت بنكتة غير منتظرة وتهكُّم شائق يناسب الموضوع . كقولها في انتقاد الشراسة العابسة التي يستعملها بعض الشرقيين في منازلهم :

« زرت مرة سيدة ممن ابتلين بمثل هذا الزواج القاسي وكنا نتكلم وأولادها الصغار يلعبون قريباً منا وبناتها الشابات يضحكن وإذا بهن سكتن فجأة وارتبكت أمهن وغارت أعينهن وعلاهن الإصفرار وقامت احداهن تهرول إلى الصغار لتسكتهم والثانية تتسمع على السلم والأخرى ترى ماذا يمكنها